عقيدة القدر

وآثارها العملية في القرآن والسنة

د. / محمد بن عياش الكبيسي

جامعة قطر

مقدمة وتمهيد

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فلا ريب أنّ للقدر مكانة كبيرة في العقيدة الإسلامية، ويكفي أنه ركن من أركان الإيمان كما ورد في حديث جبريل: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره"(١).

ومع أن القدر يعدّ من المسائل الشائكة إلا أنه يمس واقع الإنسان كثيراً، بخلاف كثير من المسائل السمعية التي يمكن التفويض فيها، أو التغاضي عنها.

فإذا صح التفويض في صفات الله الخبرية كالأستواء والنزول، فإنه لا يمكن أن يقبل في موضوع القدر، حيث يتناول القدر مباحث كثيرة متعلقة بإرادة الإنسان وصلتها بإرادة الله المطلقة ومدى مسؤولية الإنسان عن أفعاله وتصرفاته.

والذين خاضوا في هذا الموضوع تنازعوا تنازعاً شديداً، من الذين غلّبوا جانب التوحيد إلى الذين غلّبوا العدلَ الإلهي... فالأولون قالوا: إنه ليس هنالك إلا خالق ومخلوق (الله خالق كل شيء)(٢). فالإنسان إذاً بكل صفاته وأحواله وأفعاله من خلق الله(٣).

والذين غلّبوا جانب العدل الإلهي تمسكوا بمثل قوله تعالى:

(ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد)(٤)، و (إن الله لا

---

(١) رواه مسلم - صحيح مسلم ج١ ص ٣٧ رقم/١ - دار احياء التراث العربي - الطبعة الأولى - ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥م.

(٢) الرعد / ١٦.

(٣) ينظر خلق أفعال العباد للإمام البخاري الذي ألفه لاثبات هذه العقيدة مع أنه نقد فكرة الجبر المحض التي قال بها الجعد بن درهم والجهم بن صفوان - ص١٢ و ص١١٨.

(٤) آل عمران / ١٨٢.

يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون)[١]. وقوله تعالى في الحديث القدسي: "ياعبادي إني حرّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً..... يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه"[٢].

وقد لخص القاضي عبد الجبار – رحمه الله – هذه الفكرة بقوله : "إن أفعال العباد غير مخلوقة فيهم وأنهم المحدثون لها" [٣].

وفي خضم هذا النزاع جاء الأشاعرة بمنهجهم التوفيقي وخلاصته: أن الله وحده هو الخالق حقيقة، فلا خالق غيره، ولكن العبد يكسب هذا الخلق باختياره "العبد قادر على كسبه وقدرته ثابتة عليه" و "أن الله خالق كل شيء حتى أفعال العباد" [٤]. يقول الإمام الغزالي – رحمه الله – : "إن انفراد الله – سبحانه– باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب بل الله –تعالى– خلق القدرة والمقدور جميعاً، وخلق الاختيار والمختار جميعاً"[٥]. والحقيقة أن هذا التنازع يدور غالباً في عالم الغيب البعيد عن واقع الإنسان، وإلا فالإنسان في حركته اليومية لا يحتاج إلى هذه المباحث، وربما لا تخطر على باله، فهو يأكل ويشرب، وينام وينصب ويسعى في رزقه ويذهب إلى الطبيب للعلاج دون أن يسأل هل أنا مخير أم ميسر؟.

والعقيدة الإسلامية ما جاءت لتأخذ الإنسان من واقعه، وإنما جاءت لإصلاح هذا الواقع (ليبلوكم أيكم أحسن عملاً) [٦].

---

(١) يونس / ٤٤ .

(٢) رواه مسلم، السراج الوهاج شرح صحيح مسلم ج١٠ – ص٢٠٨ .

(٣) شرح الأصول الخمسة – القاضي عبد الجبار – ص٣٢٣ .

(٤) الارشاد ، إمام الحرمين الجويني – ص١٨٧ و ص٢١٥ .

(٥) إحياء علوم الدين – حجة الإسلام الغزالي – ج١ – ص١٤٦ .

(٦) الملك / ٢ .

وإذا بحثنا في عقيدة القدر من هذا المنظور فإننا نكون قد اقتربنا من المنهج القرآني وأخذنا ما يمكن أن نتزود به في ميداننا التكليفي الكبير: الأرض (إني جاعل في الأرض خليفة)[1].

وبتتبع النصوص الواردة في هذا المجال يمكن القول أنها تتمحور في قضيتين كبيرتين سنأخذهما بشيء من التفصيل في المبحثين الآتيين:

---

(١) البقرة / ٣٠.

المبحث الأول

الإرادة الحرة للإنسان والآثار المترتبة عليها

أولا: أثبت الله -تعالى- إرادة حرة للإنسان في مجالات كثيرة، وآيات القرآن في هذا أكثر من أن تحصى، وقد جاءت بأساليب متنوعة يعضد بعضها بعضاً ومنها:

أ - نسبة الإرادة والمشيئة إلى الإنسان بالأسلوب الصريح المباشر ولننظر في هذه الآيات:

(وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذّكر أو أراد شكوراً) [1].

(منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) [2].

(والوالدات يرضعن أولادهنّ حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) [3].

(ولو أرادوا الخروج لأعدّوا له عدّة) [4].

(إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً) [5].

(ترجي من تشاء منهنّ وتؤي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممّن عزلت فلا جناح عليك.....) [6].

ب - نسبة الفعل إلى فاعله ووصفه به خيراً كان أو شراً ولنقرأ هذه الآيات:

---

(١) الفرقان / ٦٢.
(٢) آل عمران / ١٥٢.
(٣) البقرة / ٢٣٣.
(٤) التوبة / ٤٦.
(٥) المزمّل / ١٩.
(٦) الاحزاب / ٥١.

(التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله) [1].

(إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعدّ الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً) [2].

وفي مقابل هذا يقول القرآن: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم. فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم) [3].

ويقول: (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحدٍ منهما مائة جلدة) [4].

ثانياً: وبناءً على إثبات الإرادة الحرة للإنسان رتب الإسلام آثاراً عملية كثيرة تتناسب كلها مع مساحة الاختيار عند الإنسان، ولننظر في هذه النماذج:

أ - أمر الله -سبحانه- الإنسان بالإيمان والعمل الصالح فكراً وسلوكاً وممارسةً في القول والعمل... فقال -تعالى-: (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) [5].

ويقول: (وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون .. وقاتلوا في سبيل الله...) [6].

---

(١) التوبة / ١١٢.
(٢) الاحزاب / ٣٥.
(٣) المائدة / ٣٨-٣٩.
(٤) النور / ٢.
(٥) التوبة / ١٠٥.
(٦) البقرة / ١٨٩-١٩٠.

و(يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون)[١].

ب- نهى الله -سبحانه- الإنسان عن كل شرٍ في المعتقد والفكر والقول والفعل فقال -تعالى-: (فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور)[٢].

وقال : (يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون)[٣].

ج- وأمر الله -سبحانه- المؤمنين بالعمل لنشر الدعوة والجهاد في سبيل الله والتواصي بالحق والتواصي بالصبر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن هذه هي أسباب الهداية وانقاذ الناس من الضلال ولنتدبر هذه الآيات:

(الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً الا الله وكفى بالله حسيباً)[٤] (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)[٥] (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)[٦]، (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيَقْتلون ويُقْتَلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن)[٧].

د- وأمر الله -تعالى- بأخذ الأسباب وإعداد العدة فقال -تعالى-: (فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن

---

(١) الحج / ٧٧ .
(٢) الحج / ٣٠ .
(٣) المائدة / ٩٠ .
(٤) الأحزاب / ٣٩ .
(٥) النحل / ١٢٥ .
(٦) آل عمران / ١١٠ .
(٧) التوبة / ١١١ .

أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) [١]. وقال : (وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدّو الله وعدوكم) [٢]. وفي باب حفظ حقوق الناس قال الله –تعالى– : (يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدَين إلى أجلٍ مسمى فاكتبوه) [٣]. ثم قال : (وإن كنتم على سفرٍ ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة) [٤]. وفي باب حفظ النفس يقول القرآن : (والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحرّ وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتمُّ نعمته عليكم لعلكم تسلمون) [٥].

وفي باب التداوي وطلب الشفاء يقول القرآن الكريم : (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس) [٦].

وفي تعليله لحرمة جماع الحائض يقول القرآن : (ويسألونك عن المحيض قل هو أذىً فاعتزلوا النساء في المحيض) [٧]. وفي الحجر الصحي يقول الرسول ﷺ(في الطاعون : "فمن سمع به بأرض فلا يقدمنَّ عليه، ومن وقع بأرض وهو بها فلا يخرجنّه الفرار منه" [٨]. ويقول أيضاً: "لا يوردَنّ ممرَض على مُصحٍّ") [٩]. ويقول : "فرّ من المجذوم كما تفرّ من الأسد" [١٠]:

هـ– وحسم الإسلام مسألة الاحتجاج بالقدر فالمكلف مسؤول عن تصرفاته،

---

(١) النساء/ ١٠٢ .
(٢) الأنفال / ٦٠ .
(٣) البقرة / ٢٨٢ .
(٤) البقرة / ٢٨٣ .
(٥) النحل / ٨١ .
(٦) النحل / ٦٩ .
(٧) البقرة / ٢٢٢ .
(٨) رواه مسلم – السراج الوهاج شرح صحيح مسلم – صديق حسن خان ج٨ – ص٣٦٥ .
(٩) رواه البخاري – التجريد الصريح – ج٢ – ص١٤٦ .
(١٠) رواه البخاري – التجريد الصريح – ج٢ – ص١٤٥ .

وهو يتحمل تبعاتها، ولا يصح أن يتشبث بالقدر ليتنصل من هذه المسؤولية. يقول القرآن الكريم : (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرّمنا من شيء كذلك كذّب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم الا تخرصون) [١]. ويقول أيضاً : (أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنّى هذا قل هو من عند أنفسكم) [٢]. وأنكر القرآن قول إبليس في نسبة الاغواء إلى الرب – سبحانه: (قال فبما أغويتني لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم) [٣]. و (قال ربّ بما أغويتني لأزينّ لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين) [٤]. وبالعكس موقف آدم وحواء بعد الخطيئة: (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين) [٥].

يقول ابن تيمية – رحمه الله – : "فمن تاب أشبه أباه آدم ومن أصرّ واحتجّ بالقدر أشبه ابليس" [٦]. وخلص إلى قاعدة جليلة في هذا المجال فقال –رحمه الله–: "فالقدر يؤمن به ولا يحتج به" [٧].

وهذا كله يبرئ عقيدة القدر في الإسلام من كونها سبباً في التقاعس والتواكل وترك ميادين المنافسة في العمل الطيب [٨].

و– وبعد كل ما تقدم تأتي الثمرة الكبيرة والنتيجة العادلة: (فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) [٩]. فالجزاء ثواباً أو عقاباً إنما يكون موافقاً لما قدّمه الإنسان على هذه الأرض، ولذلك قال –تعالى: (هل

---

(١) الأنعام / ١٤٨ .
(٢) آل عمران / ١٦٥ .
(٣) الأعراف / ١٦ .
(٤) الحجر / ٣٩ .
(٥) الأعراف / ٢٣ .
(٦) مجموع الفتاوى – ج٨ – ص١٠٨ .
(٧) مجموع الفتاوى – ج٨ – ص١١٤ .
(٨) ينظر : هل الإنسان مسير أو مخير؟ نبيل حمدي، ص١٠–١١ .
(٩) الزلزلة / ٧–٨ .

جزاء الإحسان إلا الإحسان)[1]. وقال : (كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية)[2].

وقال : (وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً)[3]. وقال : (كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون. إنا كذلك نجزي المحسنين)[4].

وفي المقابل يقول القرآن : (لايذوقون فيها برداً ولا شراباً . إلا حميماً وغساقاً. جزاءً وفاقاً . إنهم كانوا لا يرجون حساباً)[5]. ويقول : (ما سلككم في سقر . قالوا لم نكُ من المصلين ولم نكُ نطعم المسكين)[6].

وهذا الجزاء المرتبط بالعمل صراحة كما في الآيات التي مرت إنما يتحقق في العمل الناتج عن إرادة حرة وأهلية صالحة للتكليف ولذا يقول الأصوليون: "لا خلاف أن المأمور لا بد ان يكون متمكناً من إتيان الفعل المأمور به في وقت توجّه الوجوب، بأن كان قادراً عليه من حيث الأسباب، وعالماً به أو كان سبب العلم قائماً)[7].

ولو تأملنا النصوص الواردة في هذه المسألة لوجدناها تشهد لهذا الاتفاق الأصولي، ولنقرأ قوله –تعالى– : (وما كنا معذِّبين حتى نبعث رسولاً)[8]. وقوله –تعالى– : (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أُكرهَ وقلبه مطمئنٌّ بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم)[9]. وقوله –تعالى– : (لا يكلّف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت)[10].

---

(١) الرحمن / ٦٠ .
(٢) الحاقة / ٢٤ .
(٣) الإنسان / ١٢ .
(٤) المرسلات / ٤٣–٤٤ .
(٥) النبأ / ٢٤–٢٧ .
(٦) المدّثر / ٤٢–٤٤ .
(٧) ميزان الأصول – الإمام أبو بكر السمر قندي – ص١٨٧ – وانظر أصول الفقه في نسيجه الجديد – د. مصطفى الزلمي و د. علي المهداوي – ص٢٥٠ .
(٨) الإسراء / ١٥ .
(٩) النحل / ١٠٦ .
(١٠) البقرة / ٢٨٦ .

إن هذه الآيات صريحة في الربط بين التكليف والجزاء من ناحية وبين المقدرة وحرية الاختيار عند الإنسان من ناحية أخرى. وكذلك قوله -عليه الصلاة والسلام- : "إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه" [١].

ولا أدري بعد هذا كيف تقبل فكرة أن الله يجبر عباده على فعل المعاصي ثم يعاقبهم عليها ؟! وكيف يتجرأ سائلٌ أن يسأل الله -سبحانه- بهذا السؤال : "اللهم إني لم أعصك معاندة لك، ولكنها مقاديرك التي قدرتها عليّ ... اللهم إني لم اعمل الحسنات إلا بما أعطيت ، ولم اعمل السيئات إلا بما قضيت !! فلولا عطاؤك لكنا من الخاسرين ، ولولا قضاؤك لكنا من الفائزين !!"[٢].

إن ربط الجزاء بما خلقه الله في الإنسان ولاقدرة للإنسان على تغييره منافٍ للعقل والنقل ، ويكون مثله مثل من يجوّز إثابة الله للأبيض على بياض جسده، وعقابه للأسود على سواده [٣].

والإنسان حقيقةً يربط بين الجزاء وحرية الإرادة بفطرته، ويتعامل مع من حوله بهذا المبدأ بلا نظرٍ ولا تكلف ، فإن الإنسان لو سقط عليه جذعٌ من السقف لا يغضب عليه لأنه ليست له مشيئة ، ولو ضربه امرؤ بعصا فإنه يغضب لأن صاحب العصا له مشيئة مع أن ضربة العصا أخف من ضربة الجذع !! [٤].

ز- وإتماماً للأمر وتاكيداً لحرية الإنسان في ميدانه التكليفي ، وثمرةً من ثمار العدل الإلهي بل الرحمة الإلهية يأتي مبدأ التوبة في الإسلام فالله -

---

(١) سنن ابن ماجة ج١ - ص٦٥٩ - وأنظر تلخيص الحبير لابن حجر - ج١ ص٣٠١ .

(٢) حزّ الغلاصم في إفحام المخاصم - ابن الحاج القفطي المتوفي سنة ٥٩٨هـ - ص١٢٧ - وقد جعل هذا الدعاء خاتمة كتاب.

(٣) شرح الأصول الخمسة - القاضي عبد الجبار في رده على المجبرة - ص٣٦٠ .

(٤) دفاع عن العقيدة والشريعة - محمد الغزالي - ص١٠١ .

تعالى- أمر عباده بالتوبة وجعلها طريقاً للتصحيح وتبديل السيئات إلى حسنات وتحقيق محبة الله ورضاه : وحسبنا أن نتدبر هذه الآيات :

(يأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفّر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار) (١) .

(وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) (٢) .

(إن الله يحبّ التوابين ويحبّ المتطهرّين) (٣) .

(فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم) (٤) .

وفي الحديث أن النبي (قال : "إن الله -تعالى- يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها ") (٥) .

وكان -عليه الصلاة والسلام- يقول في دعائه : "اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري ، وما أنت أعلم به مني ، اللهم اغفر لي هزلي وجدّي وخطئي وعمدي ، وكل ذلك عندي" (٦) .

---

(١) التحريم / ٨ .
(٢) النور / ٣١ .
(٣) البقرة / ٢٢٢ .
(٤) المائدة / ٣٩ .
(٥) رواه مسلم – السراج الوهاج شرح صحيح مسلم – صديق حسن خان – ج١١ – ص٥٦ .
(٦) رواه البخاري – التجريد الصريح – ج٢ – ص١٧٠ .

المبحث الثاني

إرادة الله المطلقة وصلتها بالسلوك الإنساني

ربما نستطيع أن نجمل ما ورد في القرآن الكريم بشأن الإرادة الإلهية في النقاط الآتية:

أ – أثبت الله –تعالى– لنفسه صفة الإرادة بصيغ كثيرة، وربطها بآثارها في الخلق والتكوين، فقال –تعالى– : (إن بطش ربك لشديد إنه هو يبدئ ويعيد. وهو الغفور الودود . ذو العرش المجيد . فعّال لما يريد) (١). وقال أيضاً : (ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكنّ الله يفعل ما يريد) (٢). وقال : (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) (٣).

ب – ومع هذه الإرادة المطلقة فإن الله –سبحانه– لا يظلم أحداً فقال – تعالى– : (فكلاً أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون) (٤).

وقال – تعالى – : (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها) (٥).

وجاء في الحديث القدسي : "ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرّماً فلا تظالموا" (٦).

---

(١) البروج / ١٢–١٦ .
(٢) البقرة / ٢٥٣ .
(٣) يونس / ٩٩ .
(٤) العنكبوت / ٤٠ .
(٥) النساء / ٤٠ .
(٦) رواه مسلم – السراج الوهاج شرح صحيح مسلم – ج١٠ – ص٢٠٨ .

ج- وأما تفاوت الناس في الرزق والأجل والصحة ونحو هذا فإنما هو للامتحان والاختبار، لأن الدنيا كلها ليست دار الجزاء، وإنما هي دار التكليف والابتلاء، فالغنيّ يبتلى بغناه، والفقير يبتلى بفقره، والغنيّ مبتلى بالفقير، والفقير مبتلى بالغني، فإن شكر الغني واستعمل النعمة في الطاعة وأحسن إلى الفقير فقد فاز، وإن صبر الفقير ولم يحسد الغني فقد فاز، والعكس بالعكس ، والعبرة بالنتائج لا بالظواهر -كما سيأتي إن شاء الله-.

يقول القرآن الكريم: (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً) [١]. ويقول : (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين) [٢]. ويقول : (ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض) [٣]. ويقول: (كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون) [٤]. ويقول : (وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون) [٥]. والحسنات هنا : الصحة والرخاء ونحو هذا، والسيئات ما يقابلها [٦].

وأما آثار الإيمان بإرادة الله المطلقة - وفق النقاط التي مرت معنا- في عمل الإنسان وسلوكه على هذه الأرض فنجمله في النقاط الآتية التي تتبعها الباحث في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة:

أ - التوكل على الله والإلتجاء إليه:

إن إرادة الإنسان وقدرته على تحقيق مراده محدودة بلا ريب، فإذا آمن هذا الإنسان بوجود إرادة لا تحدها حدود "فعّال لما يريد" فإن من الطبيعة والمنطق أن

---

(١) الكهف / ٧ .
(٢) البقرة / ١٥٥ .
(٣) محمد / ٤ .
(٤) الأنبياء / ٣٥ .
(٥) الأعراف / ١٦٨ .
(٦) تفسير ابن عطية - ج٦ - ص١٢٦ .

يلتجأ هذا الإنسان إلى هذه الإرادة لتحقيق ما عجز هو عن تحقيقه. ومن الطبيعي أن يكون هذا الالتجاء مقترناً باستفراغ الوسع المتاح عند الإنسان نفسه. وهذا ما يقرّه الإسلام ويدعو له.

إن التوكل على الله وحده والإلتجاء إليه قضية عقيدية مهمة لأنها أثر من آثار الإيمان بالله وتوحيده، يقول القرآن الكريم: (وقال موسى ياقوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين) (١). ويقول: (الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون) (٢). ولذا قرن القرآن بين العبادة والاستعانة، فقال: (إياكَ نعبد وإياك نستعين) (٣). بل جعل كل ذلك عبادة فقال: (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) (٤). وقد قال النبي ﷺ: "الدعاء هو العبادة" ثم قرأ هذه الآية(٥).

أما كون التوكل والإلتجاء والدعاء ونحوها إنما يكون مع استفراغ الوسع والطاقة فالآيات الواردة في هذا أكثر من أن تحصى وحسبنا أن نتدبر هذه الآيات:

(قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) (٦). وقال: (يابنيّ لاتدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) (٧). (وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين) (٨).

---

(١) يونس / ٨٤.
(٢) التغابن / ١٣.
(٣) الفاتحة / ٥.
(٤) غافر / ٦٠.
(٥) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح. صحيح الترمذي المطبوع مع عارضة الأحوذي - ج٦ - ص٢٦٧.
(٦) المائدة / ٢٣.
(٧) يوسف / ٦٧.
(٨) آل عمران / ١٥٩.

﴿ يـــا أيهـــا الذين آمنوا إذا لقيتم فئةً فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴾ [١] . ﴿ ولاتهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون ﴾ [٢] .

يقول الآلوسي –رحمه الله– في الآية الأولى : "فتوكلوا بعد ترتيب الأسباب ولاتعتمدوا عليها فإنها لا تؤثر من دون إذنه" [٣] . ويقول سيد قطب –رحمه الله– في الآية الثالثة : "إن التصور الإسلامي يتسم بالتوازن المطلق بين تقرير الفاعلية المطلقة لقدر الله –سبحانه– وتحقق هذا القدر في الحياة الإنسانية من خلال نشاط الإنسان وفاعليته وعمله ... هذه الحقيقة الكلية المطلقة لا تعفي المسلمين من اتباع المنهج وطاعة التوجيه والنهوض بالتكاليف وبذل الجهد والتوكل بعد هذا كله على الله" [٤] .

وفي الحديث أن النبي قال :("إذا آوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره، فإنه لا يدري ما خلفه عليه ثم يقول : باسمك ربي وضعت جنبي") [٥] .

والتوكل بهذا المعنى يمنح المؤمنين القوتين : المادية والمعنوية، المادية لأن الأخذ بأسباب القوة المادية واجب شرعي يلازم التوكل ولا ينفك عنه، فالله الذي أمر المؤمنين بالتوكل عليه هو الذي قال لهم : (وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة) [٦] . ولذلك يقول أهل العلم : "إن التوكل لا ينافي القيام بالأسباب، فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد" [٧] . ويقول

---

(١) الأنفال / ٤٥ .
(٢) النساء / ١٠٤ .
(٣) تفسير الآلوسي – ج١– ص ١٠٧ .
(٤) في ظلال القرآن، ج٢ ، ص١٢٢–١٢٣ .
(٥) رواه البخاري – التجريد الصريح – ج١ – ص١٦٩ .
(٦) الأنفال / ٦٠ .
(٧) الإنسان والرزق – عمار الكردي – ص٥٩ .

شارح الطحاوية -رحمه الله- : "وقد ظنَّ بعض الناس أن التوكل ينافي الاكتساب وتعاطي الأسباب ... وهذا فاسد ... وقد كان النبي (أفضل المتوكلين يلبس لأمة الحرب ويمشي في الأسواق للاكتساب)" (١).

وأما القوة المعنوية فلأنَّ المتوكل على الله إنما يلجأ إلى إرادة ليس فوقها إرادة، وقوة ليس فوقها قوة، فهو يستصغر كل إرادة وقوةٍ أمام إرادة الله وقوته. وهذا يمنحه -دون ريب- عزيمة وثباتاً في أحلك الأحوال وأصعبها، ولنرَ هذه النماذج القرآنية.

يقول القرآن الكريم عن مواجهة نوح -عليه السلام- لقومه : (واتل عليهم نبأ نوحٍ إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غُمة ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون) (٢).

وعن هود -عليه السلام- : "قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون. إني توكلت على الله ربي وربكم" (٣).

وعن موسى -عليه السلام- في مواجهة فرعون : (وقال الملأ من قومِ فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون. قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) (٤).

وعن سيدنا محمد -عليه الصلاة والسلام- وصحبه -رضي الله عنهم: "الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل" (٥).

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز - ص٢٧٠ .

(٢) يونس / ٧١ .

(٣) هود / ٥٤-٥٦ .

(٤) الأعراف / ١٢٧-١٢٨ .

(٥) آل عمران / ١٧٣ .

وفي البخاري عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: "حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم –صلوات الله عليه– حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: إن الناس قد جمعوا لكم فأخشوهم..." (١).

وأثر هذه العقيدة في استنهاض الهمم وتفجير الطاقات ومواجهة التحديات أكبر من أن يحدّ أو يحصى، ومواقف الصحابة –رضي الله عنهم– وفتوحاتهم شاهدة على هذا. بل إن هذه الأمة بالذات لم تنهض وتتماسك في فترات التاريخ المتقلبة إلا حين يقوم فيها من يدعوها ويقودها على طريق هذه العقيدة العظيمة من صلاح الدين الأيوبي إلى محمد الفاتح، إلى آخر طفل يقاوم آلة الحرب الصهيونية اليوم على أرض فلسطين، وإن الدعوى بأن الدين أفيون الشعوب والتي حاكاها بعض المتغربين أو المتشرقين في عالمنا الإسلامي إنما هي حقيقةً الأفيون، لأن المقصود منها قتل مكمن القوة والوحدة في هذه الأمة وهو الإسلام (٢).

ب – بين الصبر والشكر:

مرّ معنا أن الدنيا في المنظور الإسلامي ليست دار جزاء وإنما هي دار امتحان وابتلاء، والله –سبحانه– يبتلي عباده بالسيئة والحسنة بما يكره الإنسان ويحب (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) (٣).

والمسلم مأمور بالصبر إذا ابتلي بما يكره من فقر ومرضٍ وفراق حبيب ونحو هذا، ومأمور بالشكر إذا أبتلي بما يحب من صحة ومالٍ وجاه ونحو هذا. يقول الرسول ﷺ: "عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك الا للمؤمن، إن إصابته سراء شكر فكان خيراً له. وإن إصابته ضراء صبر فكان خيراً له" (٤).

---

(١) التجريد الصريح – ج٢ – ص١٠٨.

(٢) انظر المبحث الذي كتبه عمار الكردي "هل الدين أفيون؟" في كتابه الإنسان والرزق، ص٢٦–ص٢٧.

(٣) الأنبياء / ٣٥.

(٤) رواه مسلم – صحيح مسلم – ج٤ – ص٢٢٩٥ – رقم ٢٩٩٩.

وقد ذكر الصبر في القرآن الكريم بما يزيد عن مائة مرة، وبمعانٍ متعددة وأساليب متنوعة فمرةً يأمر القرآن بالصبر فيقول : (فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل) [١]. ويقول : (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا) [٢]. ومرة يعد الصابرين بالجزاء الأوفى فيقول : (ولنجزين الذين صبروا أجرهم باحسن ما كانوا يعملون) [٣].

ويقول أيضاً : (سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) [٤]. وهكذا ...

إلا أن الذي لا بد من التنبه إليه هو أن الصبر في القرآن الكريم والسنة النبوية لم يأت بمعناه السلبي بل هو صبرٌ عمليٌ مقرون بالجد والجهاد، وكأن الصبر إنما هو صبر على البذل والتضحية والنتائج المترتبة على حركة الإنسان في هذا الميدان، وليس هو الصبر المقرون بالكسل والخنوع. فالقرآن الكريم يقول : (والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) [٥]. فلم يأتِ الصبر إلا بعد الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق!! وكذلك قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) [٦]. والمرابطة: الثبات على الواجبات وملازمة الثغور ومراقبة العدو والاستعداد للجهاد [٧]، وكل هذا يحتاج إلى الصبر والمصابرة دون ريب. ونحو هذا قوله -تعالى- : (ولنبلونّكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) [٨].

---

(١) الأحقاف / ٣٥ .
(٢) آل عمران / ٢٠٠ .
(٣) النحل / ٩٦ .
(٤) الرعد / ٢٤ .
(٥) العصر / جميعها.
(٦) آل عمران / ٢٠٠ .
(٧) تفسير ابن كثير ، ج١ ، ص٤٢٠-٤٢٣، وتيسير الكريم الرحمن، ناصر السعدي ، ج١ ، ص١٨٤ .
(٨) محمد / ٣١ .

ويقول الرسول ﷺ : "لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا ، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف" (١).

والخلاصة من كل هذا أن الإسلام لا يرضى بالصبر مع القعود والجبن والكسل وإنما يدعو للصبر مع الجد والجهاد والعمل، فإذا كانت النتائج بخلاف رغبة المرء، أو جاء الإنسان ما لا يقدر على رده ، ولا ينفع معه الحذر ولا الأخذ بالأسباب، فليعتقد المسلم أن هذا محض اختبار فعليه التسليم والصبر (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين . ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون . ولنبلونّكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون) (٢).

وقد بلغ من ترغيب الإسلام في الصبر على هذا الابتلاء ، ورفع الروح المعنوية أمام الصدمات والأزمات لدرجة أن يقول الرسول ﷺ : "من يرد الله به خيراً يصب منه" (٣). ويقول أيضاً : "إذا أراد الله بعبده خيراً عجّل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبد الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة" (٤). ويقول : "إن عظم الجزاء من عظم البلاء، وأن الله -تعالى- إذا أحبَّ قوماً ابتلاهم" (٥).

وهذا الترغيب حدا ببعض العلماء أن يبحثوا مسألة استدعاء البلاء ومحبته!!! . يقول الدكتور عبد الكريم زيدان : "الابتلاء صعب على النفس فلا يجوز الحرص عليه، ولا الرغبة فيه لأن فيه فتنة مجهولة العاقبة. وقد يحس

---

(١) متفق عليه – التجريد الصريح – ج٢ – ص٢٣ – والسراج الوهاج شرح صحيح مسلم – ج٦– ص٦٠٨ .

(٢) البقرة / ١٥٣–١٥٦ .

(٣) رواه البخاري – التجريد الصريح – ج٢ – ص١٤٣ .

(٤) – (٥) الترمذي – وقال : هذا حديث حسن غريب / عارضة الأحوذي بشرح صحيح – الترمذي – ج٩ ، ص٢٤٢–٢٤٣ .

المسلم من نفسه القدرة على الثبات ومن ثم لا يبالي بالابتلاء بل ربما رغب فيه ... فإذا نزل البلاء ضعف عن الاحتمال ، ووقع في الافتتان ورسب في الامتحان"[١] . وهذا الرأي لا غبار عليه ولكن مجرد مناقشة هذا الموضوع يحمل دلالة إلى الروح المعنوية العالية التي يغرسها الإسلام في نفوس أتباعه . فهل تستطيع المناهج الوضعية والفلسفات المادية أن تصنع إنساناً يتحمل الصدمات والأزمات ويواجهها بهذه الروح[٢] .

ولا عجب بعد هذا أن يكون اليأس والقنوط من صفات الكفر والانحراف عن جادة الحق . يقول القرآن الكريم : (إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون)[٣] . ويقول : (ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون)[٤] .

وأما الشكر فقد ورد في القرآن الكريم بنحو ٧٥ مرة في موارد مختلفة وأساليب متنوعة ، فمرة يأتي الأمر مباشرة بالشكر كما في قوله -تعالى-: (فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون)[٥] . و (قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين)[٦] . ومرة يأتي الشكر مقروناً بالعبادة والتقوى، وفي هذا إشارة واضحة لآثار الشكر العملية، يقول الله -تعالى- : (بل الله فاعبد وكن من الشاكرين)[٧] . ويقول : (فاتقوا الله لعلكم تشكرون)[٨] .

ويقول : (فاعبدوه واشكروا له إليه ترجعون)[٩] . وكثيراً ما يربط القرآن

---

(١) أصول الدعوة - د. عبد الكريم زيدان - ص٣٥٢ .
(٢) أنظر بحوث في الثقافة الإسلامية - د. حسن عيسى عبد الظاهر بالاشتراك - ص٤٢ .
(٣) يوسف / ٨٧ .
(٤) الحجر / ٥٦ .
(٥) البقرة / ١٥٢ .
(٦) الأعراف / ١٤٤ .
(٧) الزمر / ٦٦ .
(٨) آل عمران / ١٢٣ .
(٩) العنكبوت / ١٧ .

بين نعم الله الكثيرة ووجوب الشكر، فالشكر مع أنه عبادة إلا أن هذه العبادة مقترنة بالنعمة كما أن الصبر عبادة مقترنة بالضراء. فيقول القرآن الكريم : (فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون) [١]. ويقول : (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون) [٢].

وفي مقابل هذا يعيب القرآن على كثير من الناس الذين لا يقابلون فضل الله بالشكر فيقول : (إن الله لذو فضلٍ على الناس ولكنّ أكثر الناس لا يشكرون) [٣]. ويطرح القرآن نموذجاً لهؤلاء فيقول : (وإذا مس الإنسان ضرّ دعا ربه منيباً إليه ثم إذا خوّله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار) [٤].

وإذا كان هذا هو جزاء الكافرين بنعمة الله الناسين لفضله فإنه بالمقابل يستحق الشاكرون عاجل الخير في الدنيا وآجله في الآخرة فيقول القرآن : (وإذ تأذنّ ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد) [٥]. ويقول أيضاً: (ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين) [٦].

وهكذا تكون النعمة في المنظور الإسلامي إبتلاءً ، والإنسان معرض في الإبتلاء للنجاح أو الفشل. قال الله -تعالى- على لسان سليمان -عليه السلام- : (قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإنّ ربي غني كريم) [٧].

---

(١) النحل / ١١٤ .
(٢) البقرة / ١٧٢ .
(٣) البقرة / ٢٤٣ .
(٤) الزمر / ٨ .
(٥) إبراهيم / ٧ .
(٦) آل عمران / ١٤٥ .
(٧) النمل / ٤٠ .

وهكذا يكون المؤمن في خيرٍ دائم صابراً وشاكراً . صابراً على الضراء فلا ضجر ولا قنوط، وشاكراً للنعمة فلا بطر ولا كبرياء ، وإذا كان المجتمع عبارة عن أفرادٍ يتحركون في بيئةٍ واحدة وهم بين صابرٍ وشاكر نستطيع أن نتخيل إذاً المجتمع الصالح الذي ينشده الإسلام، فالصابرون لا يحسدون ذوي النعمة على نعمتهم ولا يحاولون الاختلاس أو الخيانة، والشاكرون يعرفون واجبهم تجاه هذه النعمة وتجاه أخوانهم المحرومين منها : (و يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) [١] . (إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده اجر عظيم . فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وانفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوقَ شحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون . إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكورٌ حليم) [٢] .

وفي الحديث قوله ﷺ : "أيكم مال وارثه أحبُّ إليه من ماله ؟ قالوا: يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه . قال: فإن ماله ما قدّم ، ومال وارثه ما أخّر" [٣] .

وفي المحافظة على ميزان الصبر والشكر وخيريتهما يقول الرسول ﷺ : "ما نقص مال عبد من صدقة ، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزاً" [٤] .

وهكذا يكون المجتمع المسلم بين شاكرين منفقين طلباً لثواب الله ورضاه . وصابرين يزيدهم الله عزاً .

---

(١) الحشر / ٩ .

(٢) التغابن / ١٥-١٧ .

(٣) رواه البخاري ، التجريد الصحيح ص٦٨٧، رقم : ٢٠٠٧ ، مطبعة اليمامة/ دمشق، الطبعة الثانية.

(٤) رواه الترمذي ، وقال حديث حسن صحيح، عارضة الأحوذي ، ج٩ ، ص٢٠٠ .

خلاصة واستنتاج

في ختام هذا البحث نستطيع أن نخلص إلى بعض النتائج العملية التي يمكن عدّها أهدافاً حقيقية لعقيدة القدر في الإسلام . ويمكن تقسيمها إلى أصلين كبيرين هما ركنا هذه العقيدة وكما يأتي :

أثبت الإسلام إرادة حرة للإنسان تمثل أساس التكليف بالأمر والنهي ثم استحقاق هذا الإنسان للثواب أو العقاب.

ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والدعوة إلى الله ، والجهاد في سبيله ، وحث الناس على التوبة والاستغفار ... كل هذا من الآثار العملية التي يرتبها الإسلام على الاعتراف بوجود الإرادة الإنسانية الحرة ... فإذا فقدت هذه الإرادة بأن كان الإنسان مجنوناً أو مكرهاً ونحو هذا لم يعد الإنسان مؤهلاً لتحمل هذه الآثار.

ثم أثبت الإسلام إرادة مطلقة لله –تبارك وتعالى– وهذا من لوازم ألوهيته ، فإذا تعلقت هذه الإرادة بشأن من شؤون الإنسان فينظر : فإن كانت هذه الإرادة قد عطلت إرادة الإنسان في ميدان التكليف كمن ابتلاه الله بالجنون فلا يصلح هذا لتحمل التكاليف وتسقط عنه المسؤولية الجزائية. أما إذا تعلقت إرادة الله بشأن لا يؤثر على حرية الاختيار التكليفي عند الإنسان كالفقر والغنى والصحة والمرض ، مما يكره الإنسان أو يحب ، فالإنسان هنا مكلف بالصبر إذا أصابه مايكره، وبالشكر إذا نال ما يحب، وهو ممتحن في الحالين.

والصبر والشكر تتبعهما آثار عملية كبيرة ، فالصابر لا يحسد غيره ولا يسعى لسد حاجته بما لا يحل له كالسرقة والرشوة... إلخ والشاكر يستخدم النعمة في الطاعة معاونة للضعفاء، وإنفاقاً على الفقراء .. إلخ.

وإرادة الإنسان لا تعمل بمعزلٍ عن إرادة الله المطلقة، لكن الإنسان يدرك بفطرته –وهو يسعى في هذا الكون– نوع اختياره وحدوده ، وهو يدرك آثار

الإرادة المطلقة للخالق العظيم -تبارك وتعالى- ويكفي الإنسان اعترافاً بذلك أنه لم يأتِ إلى الدنيا بإرادته ولن يخرج منها بإرادته.

وصلة الإرادة الإنسانية بإرادة الخالق المطلقة قد تظهر في أدق الأشياء وأعظمها . وتترتب على هذا الشيء جميع الآثار التي مرت معنا، فأولياء المقتول مثلاً مطالبون بالصبر والتسليم لقدر الله -تعالى- لأن المقتول ميت بأجله [1]، وبنفس الوقت والحال لهم الحق بتتبع الجاني والمطالبة بالقصاص أو الدية لأنه فاعل مختار يتحمل وزر ما فعل !!!

وهنا تظهر الموازنة العجيبة لعقيدة القدر في الإسلام بين القلوب التي يعمرها الصبر والرضا بقدر الله ثم تتبع المجرمين وتطهير المجتمع من آثارهم -ذاك بقدر الله وهذا بشرعه... والتسليم للقدر إنما هو اعتراف بإرادة الله المطلقة ... والتسليم للشرع وإقامة حدود الله إنما هو اعتراف بأهلية الإنسان الجزائية -والله أعلم-.

(١) لقوله -تعالى- (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً). آل عمران /١٤٥ .

المصـــــادر

١- إحياء علوم الدين ، حجة الإسلام الغزالي ، دار الثقافة ، الجزائر ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٢- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ، إمام الحرمين الجويني، تحقيق محمد يوسف وعلي عبد المنعم ، مكتبة الخانجي / مصر ، ١٣٦٩ هـ- ١٩٥٠م.

٣- أصول الدعوة ، الدكتور عبد الكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة / بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٣م.

٤- أصول الفقه في نسيجه الجديد ، الدكتور/ مصطفى إبراهيم الزلمي، والدكتور/ علي أحمد صالح المهداوي ، المركز القومي للنشر/ الأردن ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩ م.

٥- الإنسان والرزق ، عمار الكردي ، دار المعرفة/ دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦ هـ- ١٩٩٥م.

٦- بحوث في الثقافة الإسلامية ، الدكتور/ حسن عيسى عبد الظاهر وآخرون، دار الحكمة/ قطر ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٣م.

٧- التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح ، الحسين بن المبارك ، دار إحياء العلوم/ بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦م.

٨- تفسير ابن عطية المسمى : المحرر الوجيز لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ، قطر ، ١٤٠٣ هـ- ١٩٨٣م.

٩- تفسير ابن كثير المسمى تفسير القرآن العظيم ، الإمام ابن كثير القرشي الدمشقي ، الدار المصرية اللبنانية ، الطبعة الثانية ، ١٤١٠ هـ- ١٩٩٠م.

١٠- تفسير الآلوسي ، المسمى روح المعاني ، شهاب الدين السيد محمود الآلوسي، مكتبة دار التراث / القاهرة.

١١- تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير ، الحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق د. شعبان محمد إسماعيل، الكليات الأزهرية / القاهرة ، ١٣٩٩ هـ- ١٩٧٩م.

١٢- تيسير الكريم الرحمن ، عبد الرحمن ناصر السعدي ، الكويت ، الطبعة الرابعة ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠م.

١٣- حز الغلاصم في إفحام المخاصم عند جريان النظر في أحكام القدر، شيث إبراهيم ابن الحاج القفطي، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ- ١٩٨٥م.

١٤- خلق أفعال العباد ، الإمام البخاري ، المطبوع ضمن "عقائد السلف" مكتبة الآثار السلفية / ١٩٧١م.

١٥- دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين ، د. محمد الغزالي، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الخامسة، ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨م.

١٦- السراج الوهاج شرح على ملخص صحيح مسلم، صديق حسن خان، تحقيق عبد الله الأنصاري ، وزارة الأوقاف / قطر.

١٧- سنن ابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر العربي.

١٨- سنن الترمذي المسمى "الجامع الصحيح" المطبوع مع عارضة الأحوذي، دار العلم للجميع/ مصر.

١٩- شرح الأصول الخمسة ، القاضي عبد الجبار ، تحقيق د. عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة / القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ- ١٩٦٥م.

٢٠- شرح العقيدة الطحاوية ، القاضي ابن أبي العز الدمشقي ، المكتب الإسلامي، الطبعة الثامنة ، ١٤٠٤ هـ- ١٩٨٤م.

٢١- صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٤ هـ- ١٩٥٥م.

٢٢- في ظلال القرآن ، الشهيد سيد قطب ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة السابعة ، ١٣٩١ هـ- ١٩٧١م.

٢٣- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مكتبة المعارف / المغرب.

٢٤- ميزان الأصول في نتائج العقول ، أبو بكر محمد بن أحمد السمرقندي (٥٣٩ هـ) تحقيق د. محمد زكي عبد البر ، وزارة الأوقاف / قطر ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٢٥- هل الإنسان مسير أو مخير ، نبيل حمدي ، الثقافة / مصر ، ١٩٧٨م.